سلوى النعيمي
مؤلفة
برهان العسل
عقاب الأسرار
رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

سلوى النعيمي

كتابُ الأسرار

منتديات الكوكب العاشر

By

Salwa al-Nuaimi

First Published in January 2009
Copyright © **Riad El-Rayyes Books S.A.R.L.**
BEIRUT- LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb . www.elrayyesbooks.com

ISBN 9953-21-443-3

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission in writing of the publishers

منتديات الكوكب العاشر

لوحة الغلاف:

تصميم الغلاف:

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير ٢٠٠٩

المحتويات

مقدمة	٩
البطن	١٣
الملائكة	٢٣
القيلولة	٣٥
من لم يمت	٤٥
بين عشرة جدران	٥٣
الزجاج	٦٥
كنت أشبهك	٧٣
أحابيل	٨٧

منتديات الكوكب العاشر

مقدمة

لماذا **كتاب الأسرار** الآن؟

لماذا الآن وقد كتب منذ سنوات طويلة، في زمن ينتمي إلى قرن آخر يبدو الآن بعيداً؟

يومها كان هناك من كتب عن الفضيحة والجرأة وانتهاك المحظورات ولم أفهم. كنت أكتب بوعيي، كما أفعل الآن، وكلمات مثل هذه لا تخطر لي على بال.

آتية من وعي آخر ومن لغة عربية أخرى.

إذن؟

أريد أن أقول: هذا هو عالمي. أريد أن أقول: هذه هي لغتي.

هذه هي لغتي تعصمني من العاطفية الهزيلة، من الثرثرة، من الابتذال، من القبح.

منتديات الكوكب العاشر

هذه هي لغتي أحاولها في كل ما أكتب: بسيطة، لذيذة.

أذكر أنني عندما كتبت أولى قصص المجموعة وعنوانها **القيلولة**، تحكيها امرأة عن لقاء جسدي مع رجل عابر، عرضتها على رئيس تحرير مجلة أدبية ولكنه رفض نشرها لأنه اعتبرها تعريصاً كما قال لي يومها. عندما ذكرته بأن مجلته نشرت في عدد سابق قصة ايروتيكية لكاتب معروف رد ببساطة: كان نصاً طالعاً من الكبت.

من شروط النشر إذن أن أكون رجلاً مكبوتاً؟

للأسف، لا أستطيع هذا ولا ذاك.

نُشرت القصة بعد ذلك في **الناقد** البيروتية و**أدب ونقد** القاهرية. وكانت من مختارات الدكتورة لطيفة الزيات في كتابها **كل هذا الصوت الجميل**. الرقابة تأتي أحياناً من حيث لا نحتسب.

الرقابة في زمن الإنترنت؟ أية حماقة.

الرقابة العربية الرسمية العشوائية التي تمنع وتمنع ناسية أنها عاجزة في وقتنا هذا. لا، لأقل الحقيقة: إنها ليست عاجزة تماماً فهي تساهم بعض الشيء في الترويج للكتب التي تمنعها. لكن منعها وحده ليس كافياً لكي يحول كتاباً غثاً إلى تحفة أدبية، وذكاء القارئ يعرف التمييز كي لا تختلط عليه الكتب.

كأن أسوأ شرور الرقابة هي أنها تسكننا وتصير جزءاً من كينونتنا.

عرفت وحاولت دائماً مقاومة هذا الاحتلال لوعيي ولحريتي في

منتديات الكوكب الحاشر

التعبير عن هذا الوعي. من هنا، ربما، جاء حرصي على إعادة البوح بهذه الأسرار.

من أين ينبثق الحب؟ يسأل ابن عربي.

من أين تنبثق الكتابة؟ أسأل أنا.

الجواب واحد في الحالتين؟

سلوى النعيمي

باريس ـ تشرين الأول ٢٠٠٩

منتديات الكوكب العاشر

منتديات الكوكب العاشر

البطن

منتديات الكوكب العاشر

الغرفةُ معتمةٌ. عيناي مفتوحتان. وقعُ خطوات مقتربة بحذر. ينفتحُ الباب. (دعيها نائمة) صوت أمي. (أطمئن عليها) وشوشة أختي. لا أتحركُ عيناي مفتوحتان على العتمة.

غرفته كانت مضيئة برغم الستائر التي تغطي النافذة العريضة. ضوء النهار يجتازها بحبور ليسقط عليَّ (ابقي هكذا على ظهرك لا تتحركي) أعادَ. أُحاول ألّا.

أُحاول أن أبقى متمدِّدةً مفتوحة العينين والجرح. فيَّ نبتةٌ رفيعةٌ كعودٍ أضمّ ساقيَّ عليها بحرص البخيل.

قال (لم لا نحتفظُ به) قال الجملة التي عليه أن يقولَها (أو يظنُّ أنَّ عليه أنْ). قالها بسرعةٍ وكأنه يرميها في وجهي متخلصاً منها (أنا التي أمضي أيَّامي في الكلام مع نفسي كنت قد قلتها لي منذ البداية).

تحاورنا طويلاً وترددنا طويلاً، الكرةُ الآنَ في ملعبي. كلماتي لي وحدي وأحلامي ولحظات زعزعتي. جاء جوابي الذي كان ينتظره (أو أظن أنه كان). تابعنا السيرَ في الشارع المشجر، تحت شمس دمشق، وكأننا عاشقان، نخطط للعملية المقبلة.

كانت الغرفةُ مضيئةً وكنتُ وحدي. قال (سأذهب لشراءِ بعض الطعام. أنت جائعة) لم أكن. يريد أن يأكلَ أو يريدُ أن يتخففَ من وطء هذا الذي نحمله معاً. قال متضاحكاً (لن أتأخرَ. لا تخافي). (لستُ خائفةً. لن يذبحني أخي) أجبتُ متضاحكةً أنا أيضاً. أغلقَ الباب وهو ينظر إليَّ.

لم أكن خائفةً. بالأمس لم أكن خائفةً. كانَ كلُّ شيءٍ يحدثُ وكأنه لأخرى. أنا كنت نائمةً وصحوت على دمي.

هي لم تصحُ على دمها.

ذبحوها وهي نائمة.

في العام الماضي رحلَ إلى المدينة البعيدة فجأة. عندما عادَ كان مكفهراً.

ما الحكاية؟

كان عليه أن يجد محامياً جيداً للدفاع عن أحد أقاربه.

ماذا فعَل؟

– قتل أخته.

كدتُ أقفز فوق مقعدي.

مكرهاً كان عليه أنْ يقصَّ عليَّ كلَّ شيء. أسئلتي العنيدة لم

منتديات الكوكب العاشر

ترحمْ أيَّ تفصيلٍ صغيرٍ. في ساعات وحدتي كنتُ أحاولُ أن أتخيلها: صبيةٌ بدويةٌ منفوخةُ البطن، سكينٌ ودم حار طالعٌ كالنوافير، صراخٌ وبكاءٌ وشهقاتٌ.

سألته: ما اسمها؟

قال: لا أعرف اسمها. أعرف اسم عائلتها فقط.

أنا كنتُ أسميها وأراها وأخبئها في قلبِ حكاياتي السرية.

أراحتْ أمي قلقَ أبي: نزيفٌ بسيطٌ. ليست بحاجة إلى طبيب. لننتظر الصباح.

أمي القادرةُ على كلِّ شيءٍ مددتني على السرير ورفعتْ ساقيّ عالياً. جرّعتْني كؤوس ماءٍ مالح. وضعتْ لي وسادةً قطنيةً تمتصُّ الدم وبقيتْ إلى جانبي تتحرك على إيقاع تغييرها.

هل فهمتْ؟

لم تقلْ شيئاً.

بين الصحو والغفو كنتُ واثقةً أني سأبقى متدرّعةً ببراءةِ الكذب.

قال: صديقي الطبيب شرح لي أن هناك طريقةً أخرى أقل خطراً ولكنها ليست مضمونة النتيجة. المهم أنّه يستطيع تنفيذها بنفسه. نبتةٌ صغيرةٌ تنتفخُ بالرطوبةِ وتحرض آلية الـ (...) فتحتُ ساقيَّ وانزرعَ العودُ الرفيعُ. سأرويه ساعاتٍ إلى أن ينتفخَ ويطردَ المشكلةَ البادئةَ في التكوّن.

منتديات الكوك العاشر

هو إلى جانبي يراقبُ محاولات الطبيب. ((جرّبتها مرّاتٍ ولم تنجحْ أبداً)) يردّد الأخرقُ وكأنّه يريد أن يطمئنني. لو كنتُ في حالتي العاديّة لانفجرتُ ضاحكةً. رسمتُ ابتسامتي الساخرة وهو ينظر إليَّ متفهماً (أو متظاهراً).

بالأمس، عندما خرجتُ من بيته ما كان هناك قلبٌ صغيرٌ ينبضُ بين ساقيَّ برعونةٍ بل نبتةٌ كعودٍ رفيعٍ مزروعةٌ كي ترتوي برطوبتي. كانتْ فيَّ ربما، آخرَ الليل، عندما مددت يدي وتلمستُ دمي ((فعلها الغبي. نجحتْ هذه المرّة)) هل تنفستُ بارتياح؟ أعرفُ أنني كنت خائفة عندما فتحتُ ساقيَّ في المرحاض. مددتُ يدي فامتلأتْ. أعدتُها إليَّ بفضول متحريةً تلكَ الخثراتِ القاتمةَ. الدمُ ساخنٌ أحمرُ. الدم يختلط بالماء الجاري ويتحوّل نهراً مزهر اللون.

سيفرغ دمي في هذا المرحاض...

قلت لأختي في لحظة صحو: اسمعي. إذا حدث لي شيءٌ ستتصلين به. قالت مشاكسةً: لماذا؟

يبدو أنها أشفقتْ عليَّ فتابعتْ: لا تخافي. سأفعل. نامي أنتِ.

هو أيضاً قال لي: حاولي أن تنامي. الأمرُ يتطلب ساعات.

هززت رأسي وابتسمتُ.

بقيت عيناي مفتوحين على الضوء الراكضِ إليَّ وعلى النبتةِ التي تحاول الانتفاخ بين ساقي.

منتديات الوادي العاشر

قال: صديقي يعرفُ قابلةً تعملُ معه في المستشفى. تقوم بعملياتٍ كهذه في بيتها. ستذهبين إليها غداً، الساعة الثالثة. هذا هو عنوانها.

لم أمدَّ يدي لالتقاط الورقة المطوية.

وحدي؟ سألته.

هز برأسه: نعم.

هززتُ برأسي في الاتجاه المعاكس: لا.

بدأ الانتقام.

لا أعرفُ متى بدأتُ أحبه ولكنني أعرفُ الآن أني بدأت في الانتقام منه.

عليه أن يكون إلى جانبي وأن يرى بعينيه ((إزالة آثار العدوان)).

سيكون أسهلَ عليَّ أن أتخلص منه (منهما؟) إذا رأيتهُ ينظر إليَّ وأنا أموت.

أحبه؟

ربما.

يحبني؟

لا أعرف. ما كان هذا يعنيني ولم أسأله يوماً.

نلتقي. نثرثرُ. نضحكُ. أكتب له رسائل لعينةً وأقرأ رسائله الأكثر لعنةً. أقول لأمي إنني ذاهبة لأدرس عند صديقتي وأتسلل إلى بيته

منتديات الكوكب العاشر

البعيد. أخرج من عنده وقد نبت لي قلبٌ صغيرٌ بين ساقيَّ ينبض برعونةٍ كقلبي الآخر.

أحبه؟

ربما. ولكنَّ أحلامي كانت مسكونة بي وحدي، بأيامي القادمة، ولا تتسع لآخرَ.

حتى هو؟

الغرفة معتمةٌ. وشوشات أمي وأختي. عيناي مفتوحتان. أبدأ وأعيد.

ما الذي يركلني كي أهرب من مصيرٍ كمصيرها؟

لا أعرف ما أريد ولكنني أعرف ما لا أريد:

مشروع السنوات الخمس الذي تعيشه أختي: أن تتزوَّج وأن تنجب أطفالاً.

هل سأقول لها إنني حققتُ نصف مشاريعها بادئة بالنهايات؟

بالأمسِ كنتُ مشروعَ أمٍّ ولكنني لستُ مشروعَ زوجة.

ماذا سأقول لها عندما ستسعى إليَّ غداً بتواطؤ؟

لو جاء الطبيب لانفجرتِ الفضيحة قنبلة عنقوديةً. هل كانوا سيسألونني عن اسم شريكي في الجريمة وهل كنتُ سأعترفُ بجبنٍ؟

أبي لن يذبحني وأمي لن تولول وأختي لن تصرخ.

المهم هو وأد الفضيحة.

سيبتلعون السِّرَّ كالأفعى تبتلع عصفوراً.

منتديات الكوكب العاشر

أدركني الصباحُ ولم يأتِ الطبيبُ.

أدركني الصباح ولم أمت وحكايتي ستموتُ معي.

أدركني الصباحُ ولمْ أمتْ.

عيناي مفتوحتان وأعصابي كلُّها مركزةٌ على نقاط دمي التي تنزُّ بهدوءٍ متعقّلٍ. أتابعُ مسراها ومجراها إلى مصبِّها في تلك الوسادة القطنيّة الصغيرة بين ساقيَّ.

هذا دمي أنا.

دمنا راح في المرحاض وغاص في مجاري المدينة.

أينَ تصبُّ مجاري المدينة؟

لن أسدّ أنفي. ليس الأمر مقرفاً إلى هذا الحدّ. انضممتُ إلى مَنْ سبَقْ.

كان أهلُ مدينتنا يحكون حكايات عن الطالبات اللواتي يجهضن في مراحيض الجامعة. أبي كان يعيدُ علينا، في طفولتي، حكاية الزعيم السياسي الذي مات تحت التعذيب فوضعوه في حوض الحمّامِ وذوّبوه بالأسيد. ما كان عليهم إلَّا أن يفتحوا البالوعة كي يتسرب إلى المجاري.

لا بدَّ أنَّ هناك حكايات كثيرة أجهلُها تنتهي في مجاري مدينتنا كحكايتي أنا.

حكايتنا معاً.

منتديات الكوكب العاشر

دمنا معاً كان بالأمس. اليوم هذا دمي أنا.

لن ألعقه فضولاً كما فعلتُ طفلةً عندما جرح إصبعي.

هذا دمي؟

أمدُّ يدي وقبلَ أن تسقط القطراتُ على القطن سأتلقفها بإصبعي وأكتب بها اسمي على جبيني. قد أكتبُ أيضاً أرقاماً تؤرّخ لهذا اليوم التاريخي.

متعبةٌ أنا.

لن أمدَّ يدي ولن أخطَّ حروفاً ولا أرقاماً. يدي غسلتها بالأمس وعادت بيضاءَ من غير سوء. نبتةٌ صغيرةٌ كعودٍ تنتفخُ حتى يسيلَ الدم. يحرّرني ويحرّرك. لنحتفل معاً بعيدِ استقلالنا.

أريد أن أضحكَ ولكنني عاجزةٌ حتى عن البكاء.

منشورات الكوكب العاشر

الملائكة

منتديات الكوكب العاشر

منتديات الكوكب العاشر

ماذا يموتُ فيَّ عندما لا أفعلُ ما أريد؟

صداع. جبانةٌ وتافهةٌ. صداع قوانينِ الجسد، حاجاتهِ ربما.

منذ متى لم يقبلْني أحدٌ؟

منذ متى لمْ أفكرْ في تقبيل أحدٍ؟

هذا أشدُّ بؤساً وأضلُّ سبيلاً.

صداعُ المرارة التي يتصاعدُ بخارُها إلى الرأسِ.

أنظرُ إليهِ نائماً. يشخرُ قليلاً. أستمعُ إلى صوت شخيرهِ بلؤمٍ. هذا هو التطوّرُ الزوجي. في البدايةِ كنتُ أنصِتُ إلى شخيره ويذوبُ قلبي. علاماتُ البداية. علاماتُ النهاية. ربما ما كان يجذبُكَ في البداية هو الذي ينفّرك في النهاية. مَنْ حاولَ أنْ يفهمَ هذا؟ أنا لا أحاولُ.

أعطيتِ الكثيرَ ولم تعط كافياً، قال لي الآخرُ.

ما القليلُ وما الكثيرُ؟

أعطنا كفاف رغبتنا.

القبلةُ الطويلةُ كان يمكنها أن تحرّكَ سواكنَ. يكفي أن أغمضَ عينيَّ ولكنهما مفتوحتان. الرغبة تتوقفُ في أوّلِ الومض.

ما الأصعبُ أن نقول نعم أم أن نقولَ لا؟

لماذا أريدُ أن أقول؟

يكفي أن أغمضَ عينيَّ وأجتاز الدفء.

كيف تنام العانس؟ كان يصيحُ به في ذلك الشارع الدمشقي. لا أذكرُ ماذا كان يفعلُ القردُ ولكنّ الناسَ حوله كانوا يضحكون. كنت طفلةً وكنتُ أضحكُ معهم.

نومُ العانس؟

اكتشفتُهُ دون أن أكونَها.

اكتشفتهُ إلى جانب رجلٍ ينام هو أيضاً نوم العانس.

كيف ينامُ رجلٌ وامرأةٌ معاً نوم العانس؟

بالزواج. بسريرِ الزواجِ.

ماذا يبقى من الحبِّ بعدَ الزواجِ؟ بعد سنواتِ الزواج؟

منتديات الكوكب العاشر

جواب: نومُ العانس.

قلتُ ((سأتأخرُ يومين)) صوتُه الباردُ صار قلقاً ثمّ جارحاً. يعاقبُني؟ ما عادت الكلمة صالحة. بردٌّ فعل انعكاسيٌّ قديم كانت الغصّةُ في حلقي وأنا أضع سمّاعة الهاتف. رحلتْ مع شتيمة. هذه الغصّةُ نفسُها كان يمكنُها أن تزلزلني في زمنٍ ما عدتُ أذكرُه. الآن تكفي شتيمةٌ واحدةٌ كي تقفز من حلقي ككرةٍ عابثةٍ. يريدني أن أعودَ في الوقت المحدّد؟ ليس الشوق. يريد أن يطمئنّ على قيامي بواجباتي الزوجية.

ماذا يبقى منا بعدَ سنوات الزواج؟

الزواجُ وحْدَهُ.

هناكَ، بعيدةً، كنت وحيدةً، قريبة من موتي.

هنا أنا وحيدةٌ، قريبة من موتي.

وحيدةٌ ككلبٍ أجرب. لا ككلبةٍ جرباء.

ماذا يبقى بعدَ سنواتِ الزواج؟

جواب: صمتُ الزواج.

صمتٌ عاديٌّ ليس متوتراً ولا مُفْتَعَلاً.

صمت الزواج.

منشورات الكوكب العاشر

قال لي الآخر: تتدفقين. هذه هي صورتك التي ستبقى في رأسي: صورة امرأةٍ جاهزةٍ للحبِّ.

هناك تدخلينَ الغرفةَ وحدَكِ، وتغلقين الباب وراءكِ.

ماذا كان يموتُ فيَّ أنا الجاهزة للحبِّ؟

خفة البداياتِ وخفقُ أجنحةِ الرغبةِ واضطرابُ الدم. تمرُّ بسرعةٍ في كلِّ مرّة وتعود مفجوعاً كطفلٍ محروم.

من النافذة أرى البحر هائجاً بعدَ عاصفةِ الأمس. الشاطئ مقفرٌ كصحراء. يخطرُ لي أن أنزلَ وحدي في الماءِ البارد. أنغمرُ دفعةً واحدةً ويرتجفُ جسدي. أرتعشُ كرعشةِ الحبِّ. تعدّدت الرعشات والموتُ واحدُ.

أنا مفتوحةُ العينين قرب النافذةِ وهو نائمٌ.

الطفل يلعبُ وحدهُ. يغنّي. يتكلّمُ. يضحكُ. يصرخُ. يمثّلُ أدواراً.

يركضُ إليَّ: متى سنسبحُ في البحرِ؟

عندما تشرقُ الشمسُ، أجيبُهُ. أشرقتْ، يحتجُّ.

معك حق. إنها تختفي خلفَ الغيومِ.

لِمَ تختفي خلفَ الغيوم؟ يبتعدُ دونَ أن ينتظرَ جواباً.

منتديات الحوار العاشر

أراهُ يخلعُ سروالَه. يركضُ ليبولَ متابعاً حواراتِه التي لا تنتهي.

سيُجَنُّ لو بقي وحيداً. لو كان لهُ أخٌ أو أخت.. قال يوماً.

بخفّةٍ أجبتُ: جان بول سارتر كان وحيداً.

ذبحني بنظرةٍ: سخيفة. لا تتغيّرين.

أفتح عينيَّ صباحاً ورأسي مملوء بصورٍ هاربةٍ. لا أتعبُ نفسي في ملاحقتِها. ليذهب كلُّ شيء. ليرحلْ. أريد أن أبقى فارغةً كطبلٍ.

صداع.

صداعُ المرارة.

مرارةُ «لا» المترددة.

مرارةُ «لا» غيرِ الواثقة.

مرارة النوم الرديء.

مرارةُ نسيانِ الجسدِ أو تناسيه.

غلفيها بالضحكات، بالتماع العينين، بالبحث في نظرات الآخرين عَنْ (لالة) الغزالة.

سأرى الآخر. سأقولُ له مرحباً وأغمضُ عينيَّ عندما سيقبلني. سيفعلُ وسأفعلُ.

كانت شفتاه تمرّان على وجهي، على عنقي وأنا أنظرُ إليه مفتوحةَ العينين.

منتديات الكوكب العاشر

قرأت مرّةً دراسةَ عن القبلة وشرحاً لأسباب لذّتها.

نسيت كلَّ شيءٍ. أتحسّسُ وجهه كالعميان. مرسومٌ هذا الظبي.

هربتِ من الآخرين. تذرعتِ بالنافذة ورائحةِ الدخان وهربتِ.

في كلّ مرّةٍ يراني أستعدُّ ينظر إليَّ بريبة: منذ متى هذا العشقُ للسفر؟

ضروراتُ العمل، أدُّ متحاشيةً نظراتِهِ.

هل أقول له إنها لحظاتُ تنفسي. صمّامات أماني. فتحاتُ تهويتي. خوفَ الراكد. خوفَ الرمادي. خوفَ الزوجي. أغلقُ البابَ ورائي وأقفز في أيّامٍ جديدةٍ.

عندما يسألني الآخرون أجيبُ بصعوبة. ((بخير. بخير. كلُّهم بخير.)) أعيدُها بشيء من الدهشة.

هناك من يعيشُ حياتي في ذلك المكان.

أنا مريضةٌ بالنسيان.

أنا صحيحة بالنسيان.

قال الخبيرُ النفسي إنَّ المتزوجين يمرّون بفتراتِ مدٍّ وجزرٍ كمياهِ البحر، فتراتِ تعلّقٍ وفتراتِ حدادٍ، كالليل والنهارِ يتعاقبان، فبأي آلاء ربكما تكذبان.

أنا الآن في فترةِ حدادٍ إذاً.

منذُ متى؟

منتديات الكوكب العاشر

ما عدتُ أتذكر وليس مهماً أن.

قال: لا أريدُ أن أضيّع عمري. مازلتُ شاباً. أريدُ أن أعيشَ شيئاً آخر.

أنا لا أريدُ شيئاً.

في السيارة، في الطريق إلى هذه المدينة البحرية، كانت ذراعُهُ تحتكُّ بذراعي وساقُهُ بساقي.

تذكرتُ حكايةً من حكاياتِ أبي تكرهها أمي.

حكاية الرجلِ الذي أرادَ أن يستفتي الشيخ خائفاً من فساد صيامه بعد أن قبّلَ امرأتَهُ في يوم رمضاني. سأله الشيخ: كم مضى على زواجك؟

عشرون عاماً، أجاب الرجل.

لا تخفْ. كأنّك قبلتَ مؤخرتي. رد الشيخ.

ما كان علينا أنْ ننتظرَ عشرينَ عاماً لكي لا يفسدَ صيامُنا.

أنتَ إلى جانبي وأحاولُ أن أركّزَ إحساسي على نقاطِ تماسنا:

لا شيء.

منذ عامين تفتّح جسدي للمرة الأولى على رجلٍ آخرَ.

كنا متجاورين عندما مسّت ذراعُه ذراعي باهتزازات السيارة. رعدةٌ مفاجئةٌ سرت فيَّ. أترقبُ اللحظة التي سنتلامسُ فيها من جديد. نظرتُ إليه واكتشفتُ أنّي أشتهيه.

منتديات الكوكب العاشر

اكتشفت فَرِحَةً أني ما زلتُ حيّةً: أتنفّسُ وأرغبُ رجلاً آخر.

اكتشفت أنني ما زلتُ قادرةً على الرغبة؟

كمن عاش سنواتٍ بلا رأسٍ ثم تلمس مكانها فجأة ليجدَ أنها نبتت من جديد، تسمعُ وترى وتذوقُ وتشمُّ وترغبُ.

كنتَ تقول: لا تحمّليني وِزرَ إخلاصك.

إلى جانب ذلك الرجل منذ عامين، استعدتُ وهجَ دمي، كمن يخرج من مرضٍ طويلٍ. منهكاً وسعيداً معاً.

ماذا يبقى منا بعد سنواتِ الزواج؟

من قبلُ، حتى في قلب حروبنا كان جسدانا يلتقيان بصمت وعنف، لنعودَ نفترقَ في الصباح. كانت هذه اللقاءات الليلية آخر ما بقي بيننا. أقترب منك، أحسّ على جلدي رغبتك الممتلئة دماً، أفتح ساقيَّ وتدخلني صامتين إلا من تنفسنا المتسارع حتى الراحة الأخيرة.

لم يبق حتى هذا.

أنظر إليك نائماً ويخطر لي أن أخطو خطوة واحدة. تفتح عينيكَ وأستوي على عرشك كما كنتُ أفعلُ يوماً.

أبقى مكاني وراء النافذة.

لم تكن الرغبة وما كان عليَّ أن أقاومها.

ماذا يبقى بعدَ سنوات الزواج؟

منتديات الكرمل العاشر

نصير ملائكة لا جنس لنا.

هاأنذا ممسوحة كورقة. مرّت عليَّ سنوات الزواج كمحدلة.

هاأنذا بليدة، باردة، ثقيلة، وكأنَّ أحجاراً تجرّني إلى قاع.

صداع.

بعضهم بجرأ برغم الريح. أراهم من وراء نافذتي يتحايلون على الرمال والشمس ما زالت عصيّة.

أردتُ أن أسألهُ: ماذا يبقى من الزواج بعد سنوات الزواج؟ لم أفعل.

قلت: خطرت لي فكرة.

قال: يا فتاح يا عليم.

قلت: لا تضحك.

قال: هاتي لنرى.

قلت: تعدني ألا تكررها أمام أحد؟

صارت ابتسامته أكثر وضوحاً: هاتي لنرى.

قلت: اسمع. ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما.. عدا الزوجين.

سكت برهة. أدارها في رأسه وضحك عالياً. فكر أكثر: ماذا خطر لك؟

أجبتُ وأنا أهزّ كتفيَّ: لا شيء. لا شيء.

منتديات الكوكب العاشر

ضحك من جديد وهو يرددها بصوتٍ عالٍ: عدا الزوجين. عدا الزوجين.

صوت ضحكته ورائي وأنا ممسكة بيد الطفل، متجهة نحو الباب.

منتديات الكوكب العاشر

منتديات الكوكب العاشر

القيلولة

((ما رأيك في قيلولة؟))

كانَ يسألني وكنتُ أضحكُ في كلّ مرة ((نعم. وحدي))

يديرُ وجههُ خائباً، رافعاً عينيهِ إلى السقفِ، مسترحماً الملائكة والشياطين. أتابعُ الضحكَ.

نبقى في المكان المأهولِ، في صالة الفندق، نرتشفُ الشاي والقهوة.

تبقى رغبتُهُ تتقافز حولي. تسعدني ولا تعنيني.

أمدّ إليه يدي وأُفسحُ له مكاناً على السرير إلى جانبي.

لماذا قلتُ نعم في اليوم الأخير؟

جاءت وحدَها.

كان يمكنُ أن نفترقَ غداً حاملينْ طعمَ الرغبةِ المخنوقةِ مَوْتاً.

منتديات الكوكب العاشر

لماذا قلتُ نعم في اليوم الأخير؟

سبعةُ أيّام لدراسة ((المرأة العربية بين الاستقلال والتبعية)) أرقامٌ وإحصائياتٌ ونسبٌ مئويةٌ: العاملات والقاعدات، الأميّات والمتعلمات، الفلاحات والمدنيّات. أسئلةٌ وأجوبةٌ وكلماتٌ كبيرةٌ تثير الدوار. أتابع كتابة الملاحظات بدأبٍ وهو إلى جانبي. كان سؤاله المتعثرُ وكانت هزّةُ الرأس ونعم التي تسلّلت خِلْسَةً. غصَّ كالملهوف يستعيدُها: هل سمعتُ جيداً؟ أبتسمُ ولا أجيب.

غصّةٌ مختلفةٌ تتصاعدُ وتتهابطُ الآن متحايلةً على عنقه. يتحدثُ متشاغلاً ولا يجرؤُ على الاقتراب ((**ما تزال المرأة عاجزةٌ عن المشاركة الفعليّة في صنع القرار**))

مددتُ إليه يدي وجاء إلي.

في المرّة الأولى قالها واعتبرتُها نكتة. ضحكتُ وضحكَ معي. صارتْ محطةً يوميّةً نتوقف عندها كلماتٍ ملتبسةً توازي كلمات المؤتمر الواضحة ((**لم يواكب التطوّر المادي تغييرٌ جذري في مجالِ القيم الاجتماعية المتعلقة بالمرأة// أدّى غيابُ وعي المرأة نفسِها بقضيتها إلى إصابتها بنوعٍ من الفصام الذي يجعلها تتبنى مفاهيم مضادّة لحقوقها**))

كنتُ أرى عينيه عليَّ ويتوتر جسدي.

قيلولة؟ سمعتُ الكثير وهذه جديدة. لم يقلها لي رجلٌ من قبل، ولا حتى امرأة.

منتديات أكوكب الحاشر

كنتُ أرى عينيه عليَّ ويتوتر جسدي.

هل يمكن أن تكون الرغبة معدية؟

في ضوء بعد الظهيرة المرميِّ بكسل وراء الستائر أستطيعُ تمييزَ عريه الجميل وشيءٍ من الرضا على الوجه الساكن المغمض العينين ((**مفهوم الرجولة يفرض على الذكر في مجتمعنا أن يمارسَ مختلفَ أنواعِ الخبراتِ الاجتماعية حتى المحظورة منها دون أن يستنكر عليه ذلك. أما إذا قامت المرأة بالأعمال نفسها...**))

عيناي أنا مفتوحتان. أراه لا يراني.

كانت قيلولة أيضاً في ((رجل وامرأة)).

عندما عرف أبي يومَها أنني ذهبت لمشاهدة الفيلم صرخ في وجه أمي ((مراهقةٌ ترى مشاهد كهذه ستفسد..)) هل فسدتُ؟ ((**الرجل المقموع يتحوّلُ في بيته إلى قامع**)) ركضتْ أختي الصغيرة في شوارع دمشق باحثةً عني على باب سينما ((الكندي)) قبل أن تتلقفني صفعاتُ أبي. قلت متحدّيةً ((ولِمَ لا؟ أنتَ أيضاً شاهدتَه)) وقحة. ارتفع صوتُهُ وطارتْ منفضةُ السجائرِ لتصفر أمام عينيَّ قبل أن تحطَّ شظايا تلملمها أمي مستعيذة بأنبيائها ((**كلما كانت الأم خاضعةً مسلوبةَ الإرادة ازدادت رغبة الابنة في السير في الطريق المعاكسة**))

كانت قيلولة.

تخطرُ لي الفكرة للمرّة الأولى بعد هذه السنوات كلّها.

الرجل والمرأة يتناولان طعامَ الغداء في مطعم ثمَّ يصعدان إلى غرفة في فندق. أبي الذي لم يتحمّل رؤيةَ فيلمٍ في حياته شاهدَ مرّاتٍ

منتديات الكوكب العاشر

الفيلم الفرنسي الذي كان حديث مدينتنا. البطلةُ أرملةٌ لم تقربْ رجلاً منذ موتِ زوجها. ابتسمتُ في سرّي وحمدت ربي أنني لستُ.

أسمعُ همساتِه ((ما كنتُ أظنُّ أنّ هناك امرأةً ساخنةً إلى هذا الحد))

يتحسس جسدي الملتهب بالرغبة وأريده أن يتحسس جسدي الملتهب بالرغبة.

أعرفُ أنني حارّةٌ وناعمةٌ ((**المرأة كائنٌ ذاتي لا يملك القدرة على تجاوز الذات إلى المجتمع**))

يقترب أكثر وألتصق به أكثر.

نتداخلُ وإيقاعاتُ جسدينا ما تزالُ هادئةً ((**عملُ المرأة داخل البيتِ وخارجه يؤدي إلى إصابتها بالإرهاق**)) اللمسة تمتدُّ والقبلة تطولُ والمرّةُ الأولى تبدأ اجتياحاتها.

منذ سبعة أيامٍ وهو إلى جانبي. لم نكن وحدنا. المشاركون كثر في ملتقى ((**تاريخ المرأة العربية والظروف التي أدّت إلى حرمانها من المشاركة في الإبداع الحضاري**)).

لقاءاتٌ عابرةٌ في مؤتمراتٍ عابرةٍ.

لاحظتُ انتباهه منذ البداية ولم يكن هذا يعنيني.

أعرفُ أنّ رغبتي لا تبدأ إلاَّ مني.

لماذا هو الآن، دون غيره، إلى جانبي في هذا العناق المتوحّد؟

منتديات الكوكب العاشر

السؤال الأزلي عند كلّ بداية.

الجسد هو الذي يقرّر؟

((ما طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة وما هي العوامل التي تتحكم فيها؟))

في زمنٍ مضى كان هناك مَنْ يعيدُ عليَّ حديثَ كيمياء الأجساد وتناغماتها. كنت ألتصقُ به وهو يصفُ دَهِشاً قدرتي على التغلغل. التغلغل في ماذا؟ ربُّكَ وحده يعلم. كانت كلماتُهُ تبقى عالقةً في مصيدةِ رأسي وكنتُ أتلمّظُ بها في خلوتي **((المرأة لا تطلب مباشرة ما تريدُ ولا تدافع عن معتقداتها، وبخاصة إذا ما تطلّب منها هذا دحضَ آراء الآخرين وإظهارَ مقدراتها الفكرية))**

ماذا سيتجلى من قدراتي الآن وكيميائي العملية تتوهج في هذا الرجلِ، في هذا السريرِ، في هذه الغرفةِ، في هذا الفندقِ، في هذه المدينةِ، في هذا البلدِ، بعيداً عن حياتي؟

كانوا جميعاً يرقصون في قاعة الفندق. هذا الفندق الذي سيحتضن في الأسبوع القادم مؤتمراً لوزراء الداخلية العرب، وقد يناقشون، هم أيضاً، حقي في القيلولة. جرى الإيقاع في دمي وتردّدتُ **((ما تزال المرأة العربية خاضعة للضغوط الاجتماعية// تمرّ بفترة انتقالية حرجة تتيحُ للمرأة فرصاً ومسؤولياتٍ لم تؤهّل لعيشها وهي لذلك في حالة خوفٍ دائم))**

منتديات الكوكب العاشر

الرقصُ فرصةٌ أم مسؤولية؟

ما زلتُ أخافُ جسدي. أحمله عبئاً على عبء. أعرض وأستعرض بعضَ بعضِهِ بغوايةٍ وأخفي الباقي بحرص.

ترددتُ وشدّني بإصرار. وقوفاً تقابلنا. لا ألمسه ولا يلمسني. إيقاعُ الجسد وحدَه يربط بيننا. يقتربُ بوجهه مني. أحسُّ الخطرَ فأضحكُ وأبتعد. شعري ينوسُ مع حركاتي وعيناه تتابعاني. في لحظة ما أمسك بيدي: لنخرجْ. تفَلَّتُّ. تابعتُ الرقص، تابعتُ اللعبَ.

قالت الصديقة ((أنتِ امرأةٌ طفلةٌ لا تذهبُ إلى نهايات أفكارها))

ماذا تعرفُ هي عن البداياتِ والنهاياتِ؟

ماذا تعرفُ عن صباحاتٍ ومساءاتٍ وأجسادٍ ومذاقاتٍ وعطورٍ صبّتْ في بهائي؟

إيقاعُ الجسديْن يربطُ بيننا الآن ولكنه ليسَ وحدَه، وعندما يقتربُ بوجههِ مني تبدأ شفتايَ في التدوّرِ البليل. القبلة لا تنتهي وأغمضُ عيني. أستعيدها غزيرةً، أستعيدُها واحدةً، أستعيدُها ويسقطُ دمي المباح.

((كنا في السوق القديمة)) ترفع الصديقة شعرها عن غنيمتها: طويلةُ المهوى والقرطُ فضةٌ مطعَّمةٌ بأحجارٍ صغيرة توسوس عند كلّ حركة. كانت أذناي عاريتين كالعادة.

منتديات الكوكب العاشر

((لماذا لا تضعين العقودَ والأساورَ والخواتم؟)) تسألني أختي وأتحايل في الإجابة.

((المرأة العربية ليست نسيجاً متشابهاً وهموم الريفية تختلفُ عن هموم..))

عندما كتبتُ أيام الجامعة قصيدةَ حبٍّ قالوا هذه كلماتُ امرأةٍ لا همَّ لها.

هو أيضاً سأل، وبحركة تمثيليةٍ لم يناقشها المؤتمر أعلنتُ ((لستُ بحاجة إلى إضافاتٍ أنثوية)) فهم المكرَ وأجابت نظراتُهُ جوّالةً كقبلاتٍ متأنّيةٍ على الوجهِ، على العينين، على الشفة السفلى، على الثديين وأهرب إلى حكايات الصديقة ومشترياتها.

في العتمةِ الشفّافة تنتقلُ قبلاته متأنّيةً متأنيةً على المفضوح مني والسّري.

أغمضُ عيني من جديد سابحةً خلفَ مويجاتي: تتعاقدُ في داخلي، تتشابك ثمَّ تتصاغرُ، أبعدَ أبعدَ، قبل أن تتفتح نقطة نور تنداح.

((لا تعبّر المرأة العربية عن تجاربها خوفاً من أحكام المجتمع الأخلاقية التي لا تفصل بين الحياة الخاصّة والعمل الفنّي)) لستُ بحاجة أن أفتحَ عينيَّ كي أراه.

أعرفُ أنّه هنا، مختلطاً برائحةِ اللذّة.

منشورات الكوكب العاشر

منتديات الكوكب العاشر

من لم يمت

بالأمس مات أخي.

من بعده انقسم الناسُ في رأسي: من يموتُ بالسرطان ومنْ يموتُ بغيره. وضعتُ اسمي في أوّلِ القائمة الأولى.

في أحلامي، كان أخي يأتيني، يُمسِكُ بيدي ليقولَ لي إني سأموتُ بعده بشهور.

عندما كنتُ أفتحُ عينيَّ كنتُ أرى سرطاني يبزغُ شمساً محرقةً تجرّني وراءها.

بالأمس مات أخي.

أنّبني أبي ((أخوكِ مدفونٌ إلى جانبكِ ولا تزورين قبرَهُ؟ أتيتُ من

منتديات الكوكب العاشر

آخرِ الدنيا لأطمئنّ على أحواله. أنتِ هنا لا تكلفين نفسك خمسَ دقائق. القبر مهملٌ وكأنَّ صاحبه لا أهل له. كنتُ أعرفُ دائماً أنكِ بلا قلبٍ.)) الجملةُ الاستفهاميةُ الطويلةُ التي بدأت تنكتبُ في رأسي امّحتْ وسقطتْ وحدَها.

لا قلبَ لي؟

لا قبرَ لي؟

غداً، عندما سأموت سأطلب أن تحرق جثّتي، ذرّاً للرماد.

بالأمس مات أخي.

من بين دموعه نصَّبَ أبي نفسَه وريثاً وحيداً لغنيمةِ سبعة عشر عاماً من احتراقِ أخي في البلد الصحراوي ((الأب يحجب بقيةَ الإخوةِ في حال وفاةِ..)) طبَّق أحكامَ الشريعة، شارحاً حيثياتِ الفتوى وسطَ تهليل الجميع.

أختي ما كانتْ بحاجةٍ إلى دموعها كي تختارَ النصَّ الذي سيُقرأُ للصلاة على جثمان أخي، في الكنيسةِ القريبةِ من المستشفى، بالحماسةِ نفسِها وبالتذوّقِ نفسه لقصيدةٍ تشرحُها لتلميذاتها

((الربُّ راعيَّ فلا يعوزني شيء..))

استشارتني.

((في مراعٍ خصبةٍ يقيلني..))

تتلمّظُ بالكلمات.

منتديات الكوكب العاشر

((إني ولو سكنتُ في وادي ظلال الموت..))

كنتُ أنظرُ إليها وأهزُّ رأسي.

بالأمس مات أخي.

عادَ من المدينةِ الصحراوية مريضاً.

نزح إليها للعمل في الثالثة والعشرين وعاد منها في الأربعين، محقوناً بالقهر وبالسرطان، ليموت في هذا البلد الغريب.

استأجر له أبي حقّاً في قبرٍ لمدةِ خمسةِ أعوامٍ، قابلة للتجديد، في مقبرة باريسية.

((الأمكنة قليلة)) شرح موظفُ مكتب دفن الموتى ((عندما تنتهي مدّته ننزِلُ فوقه ميتاً آخر. هذا إذا لم يُجدَّد العقد قبْلَ..))

كان يتكلّم وكنتُ أدور بين جثث الموتى المتراكبةِ طبقاتٍ، المتخالطةِ عظاماً وجماجمَ، ألملمُ بقايا أخي.

بالأمس مات أخي.

في الكنيسة، كانت أمي ترتدي السواد. أخواتي أيضاً. حتى أنا. أبي كان معنا. قال إنّ علينا أن نفعلَ هذا من أجلِ أمّي وإلا أصيبتْ بذبحة قلبية. فكرتُ في أنها لم تُصَبْ بأذى عندما ورثه بالأمس مسلماً. فهمتُ خطورةَ جملتي. بلعتها. كعادتي. وهززتُ رأسي.

منتديات الكوكب العاشر

كنا سبعة فقط، بعيداً عن أعين الغرباء، في مواجهة كلماتِ القسيس التي اختارتها أختي بعدَ أن دفعت مقدّماً ثمن القدّاس الجنائزي.

رمى كلٌّ منا وردة فوقَ التابوت الخشبي، وخرجنا واحداً بعد الآخر.

هل كان ذلك في المقبرة أم في الكنيسة؟

كان ذلك في الأوّل من نيسان ولم يكن موته كذبةً. كان قد مات من قبلُ، كلّ يوم، خلال ستة أشهر.

كم يوماً في الستة أشهر؟

مائة وثمانونَ يوماً؟

مائةٌ وثمانون ميتة؟

منذ أن نصبَ الجراحُ مقصلته أمام عينيَّ مات أخي. الميتات بعدها كانت إعادة تمثيلٍ للجريمة.

مِنْ يومها وأنا أمسكُ جثة أخي بيدي، أجرجرها وراء حياتي.

بالأمس مات أخي.

عندما دخلتُ البيتَ رأيتهم جميعاً متحلقين حول المائدة، تغطيها الأوراق ودفاتر الحسابات المصرفية يجمعونَ ويطرحونَ ويقسمونَ،

منشورات الكوكب العاشر

برعاية أبي، الوريث الأوحد، الأرقام تتطاير وتحطُّ عليَّ غباراً.

كان أخي مرمياً في سريره، في ذلك المستشفى الباريسي.

ذوى وضمرَ وتقلّصَ وانكمشَ ونامَ تحت تأثير المورفين.

عندما دخلتُ الغرفةَ سكتوا لحظاتٍ، ثمَّ عادت الأرقام إلى التطاير. خطرَ لي أنني رأيت مشهداً مشابهاً في فيلم إيطالي وأني ضحكتُ عميقاً.

هل كنتُ أبتسمُ عندما أدرتُ ظهري خارجةً، نافضةً عني غبارهم؟

بالأمس مات أخي.

((زوجك مصابٌ بسرطانٍ عام..)) قاطعتهُ ((إنه أخي.)) لم تتبدّل لهجةُ الجرّاح ((أخوك مصابٌ بسرطان عام. لن يعيش أكثر من ستة أشهر)) لم أسمع صوتي المصْفر يطلب إيضاحاتٍ حول إمكانيات العلاج بالأشعة والعلاج بالكيمياء والعلاج. أرى الجرّاح يهزُّ رأسه بصرامة جنرال ((لم يبق إلا الصلاة)) أنظر إليه وأهزّ رأسي.

من سيفعلها؟

أنا؟

بالأمس مات أخي.

كانوا حوله يبكون. ينظرون إلى عينيّ اليابستين ويبكون. أنا أنظرُ

منتديات الكوكب العاشر

إلى عيونهم الغارقة وتجفُّ عينايَ أكثر. الجراح الذي فتح الرأسَ لاستئصال الورم الدماغي اكتشف سرّ أخي ((السرطان منتشرٌ في الجسم كله. هذا ورمٌ مرسلٌ: ميتاستاز)). في المعجم بحثت عن معنى الكلمة: ((كتلةٌ من الخلايا السرطانية تنتج عن انتشارِ المرض، عن طريق الدمِ أو الغدد، نازحاً عن بؤرته الأصلية.))

كان أخي، في كلّ عامٍ، يقرّرُ أن يترك عمله في ذلك البلد الصحراوي. في العام السابع عشر انفجرَ قرارُه في دمِه ونزحَ إلى دماغه. كان عليَّ أن أصدّق المعجم. كان عليّ أن أصدّق تاريخ أخي.

بالأمس مات أخي.

من بعده ماتَ أبي. مرضت أمي. تبعثرَ إخوتي في مدن بعيدة. لم أرَ أحداً منهم.

بالأمس مرّتْ عشرة أعوامٍ على موت أخي:

ما عادَ يأتيني في أحلامي. ما عادَ يمسكُ بيدي ليقولَ لي.

منتديات الكوكب العاشر

بين عشرة جدران

منتديات الكوكب العاشر

منتديا
الكوكب العاشر

بدأت السنة بكذبة، هل تنتهي بكذبة؟

كنتُ هادئةً صامتةً مفتوحةَ العينين أنظرُ إليه هائجاً يخور ((تكذبين. لم تكوني في عملك. اتصلتِ بكِ ولَمْ.))

أهزُّ كتفي ((وَلِمَ لا؟ أنتَ أيضاً تكذب. هذا ضروري وإلا فكيف يمكن أن تُعاشَ الخيانةُ الزوجية؟))

أنظرُ إليه مفتوحة العينين وأستحضرُ هدوءاً.

أعرفُ أنّ أعصابي ستتوتّر تدريجياً. هناك علاقةٌ طرديّةٌ بين صراخِه وتوتري. تتصاعدُ حتى الانفجار النهائي.

سافرَ وحدَهُ.

الرحلة المقررةُ لثلاثةٍ إلى المدينة السياحية على الأطلسي تبخّرتْ مع خبطة البابِ خلفَهُ.

منتديات الكوكب العاشر

عنفُ أمواجِ المحيطِ امتصّ ثورته قالَ.

في أعينِ الآخرين سافرنا معاً.

صورةُ السعادةِ الزوجيةِ ضروريةٌ وسافرنا معاً.

عنفُ أمواج المحيطِ امتصّ ثورتَهُ قالَ.

ثورتي امتصصتها وحدي مع الطفلِ بين عشرة جدرانٍ ولم أقلْ.

عيدُ رأس السنة امتصصتهُ وحدي مع الطفل بين عشرة جدرانٍ ولم أقلْ.

في البدء كان الفاليوم.

بعدَ كلِّ معركة يخرج هو وأبقى أنا.

قطراتٌ من الفاليوم في كأسِ ماء. ما يكفي للنوم فقط. ما يكفي لإبعادِ القرارات. أفتحُ عينيَّ وطعمُ الفاليوم في دمي ورائحةُ الفاليوم في دمي. أفتح عينيَّ وأحقدُ عليهِ وعلى نفسي وعلى استمرارنا معاً.

لا.

في البدء كان البكاءُ والنومُ على الكنبةِ وطعمُ الدمع.

كان الوجه المرمدُّ والصوتُ المكسورُ والوجعُ الذي لا يحتملُ.

بعدَها جاء اكتشافُ الفاليوم.

ما لا أستطيعُهُ أنا يستطيعُه الفاليوم.

قطراتٌ ويختفي كلُّ شيءٍ حتى يومٍ آخرَ وأستيقظُ متورّمة العينين

منتديات الكوكب العاشر

والقلبِ واللسانِ.

أرتشفُ الشايَ الساخِنَ على مهلٍ.

لم أعتدْ برغمِ كلّ هذه السنوات في مدينة المقاهي أن أكونَ وحدي خلفَ طاولةٍ في مقهى. طاولةٌ رخاميّةٌ بيضاء وفنجان شاي أبيض عليه رأسُ امرأةٍ. تتراكبُ رؤوسُ الزبائن المنتشرين في العمق على مرايا الجدران. أنا في الصفِّ الأول، خلفَ الزجاج مباشرة، أتفرّج على الحياة.

بدايةُ عام جديد؟

خراء.

ماذا تغيّر؟

((تكشفْتِ على حقيقتك بعدَ مجيء الطفل)).

مِنْ قبلُ كنا معاً، يدي في يدكَ والطرقاتُ تتفتّحُ أمامنا كالأزهار.

سافَرَ وحدَهُ وبقيتُ مع الطفلِ بين عشرة جدرانٍ ولم أقل.

أمامَ الآخرين سافرنا معاً.

بدايةُ عامٍ جديدٍ؟

عليَّ أن أتعلّمَ الحياة وحدي.

في البدايةِ كان يخرجُ وأبقى. صرتُ أخرجُ ويبقى. هكذا تتغيرُ القوانين. يخرجُ ويعودُ. أخرجُ وأعود.

علينا أن نؤرّخَ للحياة الزوجية بمشاجراتها. كلُّ مشاجرةٍ درجةٌ من

منتديات الكوكب العاشر

درجاتِ السلّم، نصعدُ أو نهبِطُ، لا فرقَ. كلُّ مشاجرةٍ توسّعُ الدائرة أكثر. كلّ مشاجرةٍ تبعِدُ الحدودَ أمتاراً. لا تَحْتَل ولا تُحْتَلّ. الأرضُ مشاعٌ.

الفالْيوم صارَ عادةً قديمةً والحلولُ الخارجيةُ تعددت.

أرتشف الشايَ الساخنَ على مهلٍ وأنظرُ إلى العابرين من وراء الزجاج.

أمضيتُ حياتي أتفرّج.

عندما كنتُ صغيرةً هناك في دمشق كانت أختي تمضي عطلاتها خلف نافذة مغلقة تتفرّجُ على العالم عبر فتحاتها. كنتُ أقولُ لنفسي ((لا بدّ أنها مجنونة. ما الذي يمنعها من الخروج؟)) عندما غادرَت البيتَ كنتُ قد كبرتُ وورثتُ مكانها خلفَ النافذة المغلقة أتفرج على العالم. ليس هناك من يمنعني من الخروج ولكنَّ لتلك الساعات المسروقةِ خلف النافذة مغلقة طعماً. كلُّ ما سمعتُ ورأيتُ ومَنْ.

الشايُ الساخنُ يجري في عروقي والدفء ينتقل من الفنجان الأبيضِ إلى كفيَّ اللتين تغطيان رأسَ المرأة.

عليَّ أن أتعلّمَ الحياة من جديدٍ، بعيداً عن صورة السعادة الزوجية وكذبةِ السعادة الزوجية.

كم مرّة قررتُ أن أرحل؟

أن أترك كلَّ شيءٍ ورائي وأرحل؟

قالت الصديقة ((التنازلات ضرورية. اسأليني أنا))

ما حدود التنازلات وعمَّ يتنازلون؟

منتديات الوادي العاشر

أنا التي لا أُحتملُ؟

الآخرُ الذي لا يُحتملُ؟

الحياة المشتركةُ التي لا تُحْتَمَلُ؟

الأسباب اليوميةُ والأسبابُ التاريخية؟

إن لم تكن هذه فتلك؟

لماذا نحنُ معاً إذاً؟

من أجلِ الطفل.

يجيبك الجميع ككورسٍ إغريقي يتنبأُ بالكارثة ويعلق على الأحداث شامتاً أولاً بأوّل.

عندما استقبلت مرة صديقاً في غيابه أعلنَ الحربَ.

أن أكون مضطرة لتبريرِ تصرّفٍ طبيعي مثل هذا؟

خراء.

ما هي هذه الحياة التي تجبركَ أن تناقش موقفاً أو ضحكةً أو كلمةً وكأنكَ في محكمةٍ ميدانيةٍ؟

دموعي بلعتها بحقد. التنازلات ليست لي. ابتسمتُ للجارة العجوز وكلبها هي التي كانت تسمعُ صراخي منذ لحظات. نزلتُ الدرج متقافزةً.

عليَّ ألا أدع غضبهُ يعكر يومي ويرمد وجهي. عليَّ أن أتعلم الاستقلال النفسي.

منشورات الكوكب العاشر

((غبية)) صرخَ.

((طبعاً والدليلُ على غبائي هو استمراري معك.))

أغلقتُ البابَ خلفي. صوتُ بكاء الطفلِ وأنا أبتلعُ دموعي بحقدٍ.

عليّ أن أتعلّمَ الحياة وحدي.

عامٌ جديدٌ؟

انهياراتٌ جديدةٌ.

انهياراتٌ صغيرةٌ بانتظارِ الزلزالِ النهائي و((وداعاً يا حبي. لنبقَ أصدقاء)).

ما كان حباً عاصفاً تحوّلَ إلى زواج عاصف.

فنجان الشاي فارغٌ. دفءُ فنجان الشاي صار ماضياً. أقلب الصحيفةَ متشاغلةً وأنظرُ إلى العابرين من وراء الزجاج.

كان أحدُ الأصدقاء يسألُ دائماً ((إلى أينَ يذهبُ الناس؟)) وكنا نضحكُ لسؤاله في كلِّ مرة.

بعدَ كلِّ خناقة كان أحدنا ينامُ على الكنبة.

بعدَ كلّ خناقةٍ كنتُ أحِسُّني أكثر ابتعاداً.

أنتَ تعودُ إلى قواعدكَ بسرعةٍ. تبتسمُ. تضعُ ذراعكَ على كتفي. أنا بحاجة إلى زمنٍ أطولَ كي أعتادَ التطبيع.

يخطرُ لي أنَّ هذه التراكماتِ الحاقدةَ هي التي ستجدُ الحلَّ.

منتديات الكوكب العاشر

((تَكَشَّفَ طبعُكِ بعدَ مجيء الطفل)) يُعيدُها ببراءة هو الذي يعرفُني مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ.

قالَ لي ((ب)) منذ سنوات إنّه ما عادَ يريدُ أن يتزوّجني. ضحكتُ عالياً. القراران أخذهما وحدَه دون استشارتي. ((ب)) كان يُحِبُّني. كان صديقاً لنا معاً كان يحبني وكنتُ أحبّكَ. ((لِمَ غيرتَ رأيكَ؟)) سألتهُ بفضولٍ ((اكتشفتُ أنَّكِ خطيرةٌ. معكِ لن أعرفَ الراحةَ)) أجابَ بجدية. خطورتي. كنتُ أحدسها وأحومُ حولها. كنتُ أحاولُ تلمسَ وجهها وجاءَ من يقولها لي بانياً عليها مقدماتٍ ونتائجَ. فرحتُ وحكيتُ الحكايةَ لكلّ من حولي. حكيتها لك وضحكنا معاً من الصديق المدجّنْ.

لماذا أريدُ الآنَ تدجينه؟

لماذا يريدُ الآنَ تدجيني؟

هل التدجينُ ضروريٌّ للحياة الزوجية؟

لدوامها على الأقل؟

سافرَ وحدَه وبقيتُ وحدي مع الطفلِ بين عشرة جدرانٍ ولم أقُلْ.

عنفُ أمواج المحيط امتصّ ثورته قالَ.

منتديات الكودي العاشر

عادَ مع حكاية عن سائحتين أميركيتين صادفهما في الفندق ((هل تصدقينني؟))

لماذا يظنُّ نفسَهُ مضطرّاً لقولِ نصفِ الحقيقةِ معي؟

كان في الحكاية ثغراتٌ واضحةٌ وكان عليَّ أن أكتم عقلي البوليسي المتحفّز دائماً.

عنفُ أمواج المحيط امتصّ ثورتهُ؟

عندما أمسكني برغبة كادَ قلبي يتفجّرُ وصورة غامضةٌ لفتاتينِ تتحركان حولنا ببطءٍ وأنا أتفرجُ ويتحرّكُ فوقي وصورةٌ غامضة ببطءٍ.

السنة بدأت بكذبةٍ، هل تنتهي بكذبةٍ؟

قرارُ الرحيلِ سيأتي وحدهُ.

فنجاني فارغٌ ورأسُ المرأةِ المقطوعُ يطفو على زجاجه الأبيض. تبخرّت حرارته من دمي. بردانة. أنظرُ إلى ساعتي. تأخرتُ وعليَّ أن أعود.

في البدء تكونُ القرارات الحاسمة.

في البدء يكونُ كلُّ شيءٍ أو لا شيء.

التنازلات التنازلات، قالت الصديقة.

منتديات الكوخ العاشر

تنفجرُ القراراتُ قنبلةً دخانيةً لا تتركُ وراءها إلا الرائحةَ الكريهةَ تسكنُ تعبيرَ الوجهِ ومذاقَ الفم.

النضج ليسَ الهزيمة فقط. إنّه أكثر، التسليمُ بها.

بردانةٌ وأريدُ أن أبكي. أرتدي معطفي وأسمعُ صوتي ((فنجانُ شاي آخرَ من فضلك)).

منتديات الكوكب العاشر

منتديات الكوكب العاشر

الزجاج

كلصّةٍ فتحتُ الباب وتسللتُ إلى الغرفة.

حقيبتي سبقتني. أراها في الظلمة ممددة جثّةً سوداء. أفتحها وأقفُ قبالتها: عليَّ أن أُبدلَ ثيابي قبل حفل الافتتاح.

إياكِ.

قبلَ أن أركب الطائرة حذروني.

إياكِ.

الفندقُ محشوٌّ بالكاميرات والميكروفونات. آخرُ صيحات التكنولوجيا.

إياكِ.

صوتٌ وصورةٌ خلال أربعٍ وعشرين ساعة.

إياكِ. كلّ حركةٍ. كلُّ همسةٍ. كلُّ.

منتديات الكوكب العاشر

إياكِ.

كنتُ أضحك وأنا أستمع إلى التحذيراتِ والحكاياتِ المرافقة.

كنتُ أضحكُ ولكنني الآنَ أقفُ متردّدةً أمامَ الحقيبةِ المفتوحة. أمنحُ نفسي وقتاً للتفكير. أُشعلُ التلفزيون وأجلسُ على حافّةِ السرير بكاملِ ثيابي بوضعيةِ استعدادٍ نظامية.

ماذا يمكنني أن أفعل؟

صوتٌ وصورةٌ؟

هناك من يراني ويسمعُ أنفاسي الآن في هذه اللحظةِ وأنا وحدي في غرفة مغلقة. أتفرّجُ على الشاشة الصغيرة أمامي ويراني على شاشته الصغيرة أتفرّجُ.

حملت ثيابي ودخلتُ الحمّام. بدأت أخلعُ وتوقفتُ. الحمّامُ مكانٌ استراتيجيٌّ من الدرجةِ الأولى. غبيةٌ فعلاً. كلُّ ما قرأتُ من القصصِ البوليسية ورأيتُ من أفلام الجاسوسية لم يفدني مثقالَ شعرةٍ. أطفأتُ النورَ. لبستُ كالعميان. لن يروا إلا شبحاً. هذا اسمهُ خيالُ الظلّ. ربما تكون لديهم كاميراتٌ بأشعة تحتَ الحمراء. تلك التي تصوّرُ حتى في قلبِ العتمة. ضحكتُ بصوتٍ عالٍ وبلعتُ ضحكتي من منتصفها. غادرتُ الغرفةَ وأنا أتساءلُ إن كان عليَّ أن أرفع يدي تحيَّةً لهم.

نعتادُ كلَّ شيء؟

متى بدأتُ أتصرّفُ في الغرفةِ وكأنّي لا أراهم وكأنّي لا أسمعهم؟

منتديات الكوكب العاشر

متى أقلعت عن التحديق في الجدران والزوايا واللوحات وقطع الأثاث؟

متى بدأتُ أنامُ وأفيقُ وألبسُ وأخلعُ وعيونهم وآذانهم معي؟

ليتفرّجوا. لا يمكنُني أن أمضي حياتي بوضعية استعدادٍ. نعتادُ كلّ شيء؟

صارَ يخطرُ لي أحياناً أن أغمزَ بعيني هذا المتفرّجَ السرّيَّ، أن أُخرج له لساني، أن أرسم حركةً ما بإصبعي، أن أتحرّشَ به. ماذا يستطيعُ أن يفعلَ من جحره؟ ليتفرّج حتّى يفقع. ليصوروا حتى يفقعوا جميعاً. أنا عابرةٌ ولا قدرة لهم عليّ. لو كانت حياتي هنا لكان للحكاية كلماتٌ مختلفة. أنا عابرة هنا.

أربع وعشرون ساعة قالوا.

كنتُ أتخيّلُ موظفاً مواظباً ملتصقاً بكرسي يأكلُ سندويشاتٍ ويتفرّج عليّ حتى نهاية الدوام الرسمي. يسلّمني إلى آخر. لماذا أتصورهم رجالاً؟ قد تكونُ امرأة تلك التي تمضي ساعاتِ عملها في مراقبتي. لا. المهمات الصعبةُ لهم فقط.

السؤالُ الآن: ماذا سيفعلونَ بأفلامي التي يصورونها الآن؟ ماذا لو طلبتُها؟

أريدُ أن أضحكَ ولكنَّ سخونةً بدأتْ تضربُ في رأسي.

ماذا لو اقترحتُ في الندوة الفكرية مناقشة موضوع (الشفافية اليومية في الثقافة العربية) من سيضحك؟ أريدُ أن أضحكَ ولكن

منتديات الكوكب العاشر

سخونة بدأت تضربُ في رأسي.

بالأمس عندما سهرنا في الغرفة التي يَشغلها (ف) كنا كثرةً. تحدثنا. ضحكنا. غنّينا. رقصنا. الكؤوسُ تدورُ ملأى وتعودُ فارغة. النغماتُ تتعالى والضحكات أكثر انطلاقاً. العيون المزروعة بيننا ترانا. الآذانُ المزروعةُ بيننا تسمعنا. العيون المزروعة ترانا ولا نراها. الآذان المزروعة بيننا تسمعنا ولا نسمعها.

هذا ليس عدلاً؟

دعوناها إلى مشاركتنا. حكينا لها آخرَ النكات البذيئة. توجهنا إليها بلغات الأرضِ كلها. لا بدَّ من تنشيطِ قسم الترجمة. ضحكنا أكثر. لعلَّ جنوننا يكون معدياً.

كنا نعرفُ أننا عابرون في هذا المكان المعادي وكنا نملك شجاعة العابرين. ماذا يستطيعون ضدّنا؟ ماذا يستطيعون ضدَّ براءتنا؟

لي خفّة العابر وراحةُ باله.

هناك، في مدينةٍ أخرى لم أكن عابرة.

هناك في زمن آخر لم أكن عابرة.

منذ متى لم أرَ وجوهاً يسكنها الخوف؟

هناكَ لم أكنْ عابرةً.

هناك لم أكن لذا حملتُ حقيبتي ورحلتُ.

منتدى الوراق العاشر

رائحةٌ أعرفها من زمن آخر تتسربُ من بابِ الفندقِ تطيرُ في سماءِ المدينة وتمشي في شوارعها وتنوء على الناس وعلينا نحن العابرين.

ماذا أفعلُ في هذا المكان المعادي؟

منذُ متى فقدتُ عادةَ أنْ أُراقِبَ نفسي أن أنظرَ حولي بحذرٍ أن أهمسَ في أذنٍ أن أبلعَ كلماتٍ؟

ماذا أفعلُ في هذا المكان المعادي؟

أحملُ حقيبتي وأرحلُ قبلَ نهاية الندوة؟

سخونةٌ بدأت تضربُ في رأسي. سخونة قفصٍ زجاجيٍّ مخبوءٍ في كهفٍ. سأتركُ لهم الغرفةَ فارغةً على شاشاتهم الصغيرة. سأهربُ إلى صالة الفندق محتمية بالآخرين. سخونةٌ تضربُ في رأسي.

منذ متى لمْ أتنفّسُ تلك الرائحة؟

أنتظر المصعدَ وحدي. أتطلّع حولي مستطلعةً. صار البحث عن الأجهزةِ الخفيّةِ فعلاً انعكاسياً: المصعدُ مكان استراتيجي. السلالمُ والأروقةُ.

أنتظرُ المصعدَ وحدي وسخونةٌ تضربُ. سخونة قفصٍ زجاجي أتحرّكُ في داخله كفأرة مختبرٍ على زجاج شاشةٍ صغيرة.

أنتظرُ وسخونةٌ.

أحملُ حقيبتي وأرحلُ؟

انفتحَ البابُ فجأةً. أطلَّ وجهٌ. تقاطعتْ كلماتنا: أنتِ هنا أنتَ هنا؟

منتديات الكوكب العاشر

الدهشة تركتْ مكانها لذراعين تطوّقاني.

الدهشةُ تركتْ مكانها لقبلةٍ لا تنتهي. لسانٌ يلوبُ في فمي وملحُ بحارٍ بعيدة جاء إلى لساني مع الرائحةِ والصرخات المخنوقةِ والهمساتِ ونظراتِ الحذرِ وتعبيرِ الخوف.

ملحُ بحارٍ بعيدةٍ جاء مع شظايا أقفاصٍ زجاجية وشاشاتٍ زجاجية.

ملحُ بحارٍ بعيدةٍ جاء مع شمسٍ ورغبةٍ تلمعُ في شمسٍ.

إياكِ. أربعٌ وعشرون ساعة. صوتٌ وصورةٌ. كلُّ حركةٍ. كلُّ همسةٍ. كلّ.

القبلةُ لا تنتهي ولا أريدها أن تنتهي.

متعانقين أعودُ إلى غرفتي.

متعانقين أفتحُ البابَ. متعانقين أغلقُ.

الجدرانُ والزوايا واللوحاتُ وقطعُ الأثاثِ هنا. أبتعدُ عنه. أشعل الأضواءَ كلّها واحداً بعدَ الآخر.

أشعلها ضوءاً ضوءاً قبلَ أن أعودَ إلى قبلاته مالحةً مالحةً.

منتديات الكوكب العاشر

منتديات الكوكب العاشر

كنتُ أُشبهكِ

1

منتديات الكوكب العاشر

– جئتُ على مهلٍ

تساقطوا أمامك وكنتُ وحدي العصيّةَ.

كنتُ أشبهكِ.

سلّموا قيادهم وكنتِ تعلمين أني لَنْ أُروّضَ.

كنتُ أشبهكِ.

لو أحببتني يوماً؟

لو صدّقتُ أنكِ أحببتني يوماً لفعلتُ مثلهم؟

كنتُ أشبهكِ وما كان يمكن أَنْ أُخدَعَ.

في تلك الغرفة في بيتنا الدمشقي كنا وحدنا وكنتُ أشبهكِ.

كنتُ بعيدةً وجئتُ على مهل. كنا وحدنا وكان قد مات ودفنوه. أرسلته معهم ورقدتِ في سريركِ. يتحدثون عن حزنكِ الذي أقعدكِ ونعرفُ معاً أنّهُ التعبُ الذي دام عمراً وانتهى الآن. نعرفُ معاً أنّها راحة الخلاص.

كنتُ أشبهكِ وكنتِ عصيّةً.

كنا وحدنا وجئتُ على مهلٍ من آخر الدنيا أبحثُ عنكِ.

ماذا قلت لي في تلك الغرفة في بيتنا الدمشقي؟

كنا وحدنا وصوتانا يتخالطان. كان قد مات قبلَكِ في بيتنا الدمشقي. كان قد ماتَ وأرسلتِه ليُدفَنَ بعيداً عنكِ وجئتُ إليك على مهلٍ.

كنتُ أشبهكِ وكنتِ تعرفين.

ماذا قلتِ لي كي أراك تنزلقين أمامي على أرضِ الغرفة في بيتنا الدمشقي؟

كنا وحدنا وكان قد مات قبلك هو الذي لم يمرضْ يوماً. كم تمنّيتِ موته وكم كنتُ أحبك. كنا وحدنا ولن يكونَ بعدَ الآن ممسحةً لكِ.

ماذا قلتِ لي في غرفة بيتنا الدمشقي ونحنُ وحدنا؟

كانوا قد عادوا من دفنِهِ والتفّوا حولكِ. كان قد ماتَ ودفنتِهِ بعيداً دونَ أن أراه. جئتُ من آخر الدنيا ولم أتعجّلْ. أرسلتِهِ ليُدفَنَ في مدينتِه وأنت ممددة على فراشك مستسلمةً للخلاص.

دفنوه وعادوا والتفّوا حولك وكنتُ عصيّةً.

منتديات الكوكب العاشر

كنتُ أشبهك.

ماذا قلت لي وتطايرت حكايتي أمام عيني؟ حكايتنا معاً؟

ماذا قلتِ لي وانفجرتُ وانزلقتِ تتوجعين ولم أصغِ إليكِ؟

في تلك الغرفة في بيتنا الدمشقي كنا وحدنا وتكوّمت على الأرض أمامي ولم أصدق وجعك.

كنتُ أشبهكِ.

عشتُ طفولتي على وقع نبضاتِ قلبكِ المتعب. كانوا يركضون إليك وأركضُ معهم. في كلِّ مرّة تضعين يدكِ على قلبك المتعبِ ونبضك المتعب. واحد. اثنان. ثلاثة. ها هو ذا يتوقّفُ ليُعاوِدَ مِنْ جديد. كمْ مرّة توقّفَ قلبك ليعاودَ من جديد؟

كانوا يركضون وأركضُ معهم في كلّ مرّة تضعينَ يدَكِ على قلبكِ وكنتُ عصيّةً.

كنتُ أشبهكِ وما عدتُ أصدّقُ نبضكِ.

كنتُ صغيرةً وما عدتُ أصدق قلبكِ. واحد. اثنان. ثلاثة. كنتُ كبيرةً ولم أصدقكِ في تلك الغرفة في بيتنا الدمشقي.

متى بدأتُ أنظر إليكِ بحذرٍ خلف كلماتي الخائفة عليك وخطواتي الراكضة نحوكِ؟

كم كنتُ أحبك!

في تلك الغرفةِ توجعت أمامي. كنتُ صغيرةً. كنتُ كبيرةً. توجعت أمامي ولم أصدّقكِ. كان قد ماتَ ودفنتِهِ على عجلٍ.

منتديات الكوكب العاشر

ماذا قلت لي وتكوّمت على الأرض وركضوا إليك. ينظرون إليَّ بريبةٍ؟

ماذا قلتِ لي؟

بقيتُ وحدي في غرفة بيتنا الدمشقي أتنفسُ.

ماذا قلتِ لي حتى انفجرتُ ولـمّوكِ وبقيتُ وحدي أتنفّسُ. لم أكن أبكيكِ عندما أخذوك بعيداً عني في غرفةِ بيتنا الدمشقي.

ماذا قلتِ لي؟

ما لعبنا معهُ سنوات عمري وأنا أشبهكِ؟

في تلك الغرفة كنا وحدنا وكنتُ عصيّةً.

الكذبة التي ازدردوها بِنَهَم بقيتْ على رأسِ لساني. بقيتْ على رأسِ حياتي. أتذوّقها ولا أبتلعها. تنزُّ في الموتَ ولا أبتلعها. كنا وحدنا وقلتِ لي وكان عليَّ أن أبلعَ سُمَّكِ دفعةً واحدةً.

تكومتِ أمامي وللموكِ بعيداً ونظروا إليَّ بريبة.

كان عليَّ أن أرحلَ مرّة أخرى عن بيتنا الدمشقي.

ماذا قلتِ لي في تلك الغرفة كي أنفصلَ عنكِ؟

للموكِ وبقيتُ وكان عليَّ أن أرحلْ.

كان قد ماتَ ودفنوهُ بعيداً وعادوا والتفّوا حولك وقلتِ لي كنتُ عصيةً.

قلتِ لي وركضوا إليكِ واتهموني. قلتِ لي وللموا أجزاءك

منتديات الكوكب العاشر

واتهموني.

ماذا قلت لي في تلك الغرفةِ في بيتنا الدمشقي؟

ماذا قلتِ لي كي أدفعَكِ بيدي بعنفٍ بعيداً عني بعيداً عن حياتي؟

منتديات الكوكب العاشر

2

منتديات الكوكب العاشر

أنا الكسيرة القلب.

كنتُ أشبهكِ.

كانوا يقولونها وأصدّقُها بزهوٍ.

عندما قالتْ جارتُنا يوماً إنني أُشبهُ أبي نظرتُ إليهِ وأردتُ أن أموتَ.

كنتِ تردّدين أني المختارةُ من بين أولادكِ وأصدّقُكِ. كنتُ أعودُ من منتصفِ طريقي إلى المدرسة كي أستعيدَ قبلتكِ التي نسيتُ وأتشمّمَ رائحةَ إبطكِ.كان إخوتي يضحكون ولكننا كنّا نعلم معاً أنهُ لا يمكنني أن أبدأَ نهاري من دونِ.

بالأمسِ حلمتُ بكِ.

مرَّ وقتٌ طويلٌ ما عدتُ أراك في نومي وأبكي.

أراكِ في نومي تفعلينَ بي ما فعلتِ وأبكي. أراكِ في نومي تقولينَ ما قلتِ وأبكي. بالأمسِ حلمتُ بكِ. لم أبكِ. كان حلماً هادئاً. نسيتُ تفاصيلهُ. عندما صحوتُ تذكرتُ فقط أننا كنا معاً ولم يكن الدمعُ بيننا. كنّا معاً كما في أيامٍ قديمةٍ. هل تكونين قد متِّ ولذلك نتصالحُ الآن؟

لا أريدك أن تموتي قبل أن تدركي عمقَ الجرح الذي تعلمتُ أن أتناساه. ينزُّ في الموتَ وأتناساه. جرحٌ خبأته بحرصٍ كي لا تريهِ حتى في لحظة ضعفٍ.

كنتِ تدهشين: هل من المعقول أن أنقلب عليكِ أنا التي؟

كنتُ أشبهكِ وما كان يمكنني أن أُخدعَ.

أنا، بعينَي حبي المفتوحتين، ما كان يُمكن لي أن أُخدَعَ.

كانَ عليَّ أن أُدافعَ عن نفسي في وجهِ هذا الحبّ العاثر. كان عليّ أن أُنْقِذَ نفسي من أوّلِ خيبة عشق. لم أصدّق بعدها أحداً قال لي أحبكِ. حبي الأوّل كان أنتِ وكان عليَّ ألا أكرّر عثرة الحبّ من طرفٍ واحدٍ.

كنتُ أشبهكِ.

أحبكِ.

كنتُ أنظرُ إليه وأتمنّى لي آباءَ آخرين وأنساهم جميعاً لأنني ابنتك.

كنتُ أراكِ تمشطين شعره كلَّ صباحٍ في بيتنا الدمشقي قبلَ أن يخرج سعيداً بحبك. كنتُ أراكِ تحرّكينَ يدَك على شعره القصير. كنتُ أعرفُ وتعرفينْ. هل كان أعمى إلى هذا الحد؟ هل كنتِ

منتديات الكوكب العاشر

ممثلةً إلى هذا الحد؟

هل كنتِ إلى هذا الحدّ؟

هل أحببتهِ في تاريخٍ مضى؟

فتحتُ عينيَّ على نظراتكِ تخفينها بمهارة حاوٍ. في رأسي حاولتُ أن ألملم أطرافَ الحكاية مما كان يقولُ. أنتِ لم تقولي إلا القليلَ القليلَ.

حاولتُ أن أفهم كي أحبكِ أكثر كي أشبهكِ أكثر والحكايةُ صارت حكايتي أنا. صارَ هو كالآخرين ممثلاً ثانوياً. ماتَ ودفنتِهِ.

لم أجرؤ يوماً أن أمُدَّ يدي إليكِ لأنتزعكِ مني وأرميكِ بعنف بعيداً عني. بعيداً عن حياتي. تركتُكِ جثةً. خنقتِني. كيف لم أمُتْ بكِ حتّى الآن؟

أنا الآن هنا في هذه المدينة الغريبة مقطوعة من شجرة، كما كنتِ وحدَكِ في تلك المدينةِ الغريبةِ مقطوعةً من شجرةِ التشابهُ يقفُ هنا. أريدُ له أن يقفَ هنا.

بالأمس حلمتُ بك.

لماذا تأتين إليّ هذه الأيام؟

ماذا يحدثُ لكِ هناك في بيتنا الدمشقي كي تتشبثي بي هنا في آخر الدنيا؟ كي تجبريني على قول ما لم أقلْ. كي تجبريني على فضيحةِ وجعي.

بالأمسِ حلمتُ بك.

منتديات الكوكب العاشر

لماذا تأتينَ إليّ هذه الأيام؟

ماذا يحدثُ لكِ هناك في بيتنا الدمشقي كي تتشبثي بي هنا في آخر الدنيا؟ كي تجبريني على قول ما لم أقلْ. كي تجبريني على فضيحة وجعي.

بالأمسِ حلمتُ بكِ. لماذا تأتينَ إليَّ هذه الأيام؟ هل سيقولون لي إنّكِ قد متِّ دونَ أن تغفري لي؟

لمْ أبحثْ يوماً عنْ غفرانكِ. بحثتُ عن حبّكِ.

ماذا أفعلُ بالغفرانِ أنا الكسيرة القلب؟

منشورات الكوكب العاشر

3

تكبرين معي.

كان يُسَبِّحُ بكِ.

أُشبهكِ؟ ينظرُ إليَّ هازئاً. أُصِرُّ. ينظر إليَّ مستنكراً. أضحكُ. لا حاجة بي لشهادتِهِ. أنتِ قلتِها لي.

عندما نظرت الغزالة إلى أبي تلك النظرة المواربةَ التقتْ عيناهما وارتجفَ. ارتجفتْ بندقيّة الصيد في يده (كانت نظرتها، سوادها وبياضها) كم مرّة سمعت منه هذه الحكاية عنك وعن عينيك؟ كم مرّة استعدتُ منه هذه الحكاية عنك وعن عينيك؟

مات قبلكِ في بيتنا الدمشقي.

ماتَ ودُفِنَ بعيداً وجئتُ على مهل.

كم كنت أحبكِ. كم كنتُ أودُّ أن أُشبهكِ. كنتُ أودُّ وكنتُ مشروعاً. كنتُ مسوّدةً.

منتديات الكوكب العاشر

كنتُ صغيرةً وكنتُ أودُّ أنْ أُشبهك.

يُطلُّ وجهي عليَّ في مرايا فأراكِ أمامي. أُشبهكِ؟ أكثرَ فأكثرَ.

أنتِ دائماً في مثلِ عمري. تكبرين معي.

صغيرةً كنت أمسكُ بيدكِ أنظرُ إليك تتحركين وتضحكين لامعة العينين متموّجةَ الشعر يقميصٍ يكشفُ بكرمٍ جمالاً بين العنق والصدر. لماذا لا تأتين إليَّ إلا في هذه الصورة؟

أشبهك؟

أكثرَ فأكثرَ.

أمسكُ بيدِ ابنتي أتحرّكُ أضحكُ لامعة العينين متموجة الشعر بقميصٍ.

التشابه يقفُ هنا. أُريدُ له أن يقفَ هنا.

أمسكُ بيدِ ابنتي. لا تشبهني. لمْ تَرَكِ ولمْ تَرَيْها. أَضمّها إليَّ وأتشممها. أحكي لها حكاياتٍ حلوةً عن جدّتها البعيدة في البيت الدمشقي.

أضمّها إليَّ وأتشممها (لكِ رائحةُ أمي) أقولُ لها وتضحك دهشةً.

ابنتي لا تشبهني. لم ترَكِ ولمْ تريْها. لها رائحتكِ وأتشممُها.

منتديات الكوكب العاشر

منتديات الكوكب العاشر

أحابيل

عن أمجادهم يتحدّثون. الماضية والآتية.

لا أمجاد لي. لا أفتحُ فمي.

كلماتي تنكتبُ في رأسي. كلماتي لي وحدي.

((الخطاب الموازي)) كان يسميها الصديق القديم ساخراً. كيف اكتشف السرّ؟

قال النحيلُ: ((لم نسمعْ صوتَكِ)). ((أفلامي صامتةٌ)) أجيبُ ضاحكةً.

لم أنتقلْ إلى الكلام العلني بعدُ. بحاجة إلى درجةٍ عاليةٍ من الحميمية كي أستطيعَ.

لحسنِ الحظِّ أنَّ هناك الكتابة. (وإن كانت سرّية؟).

لغتي ضحكاتٌ وتعليقاتٌ سليطةٌ ومؤثراتٌ صوتية.

منتديات الكوكب العاشر

قال ع يوماً: ((لا تبدأ جملتك إلا لتنتهي. تبترينها بضحكة. هل ستقولين يوماً جملةً مفيدةً؟)) لِمَنْ؟

قال الملتحي إنّ البنت الأميركية قالت له عيناكَ جميلتان. أنا لم يقلْ لي أحدٌ شيئاً.

قال إنّها قالت له سأبقى معك الليلة.

قال إنها تركتْ صحبتها في المقهى والتصقت به من أوّل نظرة.

قال إنها قالت له أحبُّكَ في غرفة الفندق. قال إنّها قالت.

قالَ: ((الأميركيات لسْنَ معقداتٍ كالفرنسيات.)) لم أكن أعرف أنّ الفرنسيات. والعربياتُ هل هنّ؟ ماذا يُقالُ عنهنّ (عنّا) في مواقفَ كهذه؟ لمْ أقلْ شيئاً.

لحسن الحظ أنّ هناك الكتابةَ. (وإنْ لم يقرأها أحدٌ).

سألني ع ونحن نتمشى يوماً في حديقة جامعة دمشق: ((ماذا تخبئين خلف عبثك وضحكاتك؟)) لماذا كان يتصوّرُ أني أخفي سرّاً؟ لستُ قناعاً. هذه أنا: الخفةُ والجمل غيرُ المفيدةُ والتعليقاتُ السريعةُ واللغةُ الممحوّةُ.

كتب ل أنّ الدافع إلى الكتابة هو العزلة. بالكتابة نحاولُ كسرها. ما الدافعُ إلى أن نبلعَ كلماتنا؟ ماذا نحاولُ أن نكسرَ؟ ماذا نحاول أن نجبر؟

منشورات الكوكب الحاشر

قالَ المصوّر: ((المهم هو أن نتحرّك، أن نخرجَ، أن نصطدمَ بالعالم.))

أنا أيضاً أريدُ أن أتحرَّكَ، أن أخرجَ. لا أريدُ أن أصطدمَ بالعالمِ. أريدُ أن أَحيدَ عن دربه؟

كما فعلتُ دائماً؟.

يتحدّثون وأصغي وأكلّمُ نفسي. أسمعُ ولا أسمع. ((الخطاب الموازي)) قال ذلك الذي اكتشف السرَّ. كان الإخوة في البيت ثم الرفاق في الخليّة الحزبية وها هم الزملاء في العمل. يتحدّثون وأصغي وأكلّمُ نفسي؟

ماذا تغيّر ومَنْ؟

الكلماتُ تتقاطعُ في فضاء المكتب وتتساقط جثثاً وأكلّمُ نفسي.

أراها تخرج من فمٍ طلقةَ قناصٍ تطير لتنقضّ على كلمةٍ خرجت قبلها.

لا يجُبُّ الكلمة إلا الكلمة. تنزلقُ علي لا تتركْ حتى رنّتها. أسمعُ ولا أسمعُ.

مرّتْ أصابعي على المخمل الأسود. وسادةٌ صغيرةٌ مدوّرةٌ ((أنصحكِ. بعدَ نصف ساعةٍ من التأمّل الجماعي تُحسين أنَّ طاقتك قد شُحنت من جديدٍ وأنّ رأسكِ قد فرغ من.)) العنوانُ في جيبي ورأسي فارغ. لماذا تحتاجُ إلى مرشدٍ روحي كي تفرّغَ رأسها؟ لستُ بحاجة إلى وسادةٍ مخمليّةٍ سوداءَ تحت مؤخرتي وعقدِ الساقين والذراعين والتحديق في الجدار أمامي.

مدونات الكوكب العاشر

رأسي فارغٌ.

جداري أحملُهُ معي.

جداري أمامي وأنا مفتوحةُ العينين عليه. ينزاحُ كستارة مسرحٍ وأخرجُ من كهفي عندما أريدُ.

هذه بعضُ فوائدِ العائلة الكبيرةِ عدداً؟

ماذا يتعلّم الصغيرُ في عائلةٍ كبيرة عدداً؟

كيف يدافعُ عن نفسه.

أنا دافعتُ بضحكاتي بتعليقاتي السليطة بكلماتي المبتورة.

دافعت بالصمم والعمى.

هاأنذا ذا أكتبُ وراء مكتبي صمّاءَ عمياءَ لا أسمعُ ولا أرى في غرفةٍ تعجُّ بالضحكاتِ والكلمات والوجوه والحكايات كما كنتُ أكتبُ وظائفي صغيرةً صمّاء عمياء لا أسمعُ ولا أرى في غرفةٍ تعجُّ.

ماذا يتعلّمُ الواحد منا في عائلة كبيرة؟

لكلٍّ أحابيلُه؟

أنا صرتُ كتيمةً لا يدخلني إلا ما أنفتحُ له.

قال الملتحي: ((البنتُ الأميركية بكتْ بدموع حارةٍ. حرام. أحبّتني فعلاً.)) وأنتَ؟ كنت أريد أن ألفظها ولكنني لم أسألْ. كنتُ مشغولةً بتخيّلِ المشهدِ كما يرويه هو.

منتديات الكوكب العاشر

لماذا لم يحبَّني أحدٌ من أوّلِ نظرة؟

لماذا لم أحبَّ أحداً من أوّلِ نظرة؟

ما عددُ النظرات التي أحتاج لها كي؟

قال المصوّر: ((البقاء في المكان لا يعلّمُ شيئاً.))

ماذا أتعلّمُ بين العمل والبيت؟

رهينةُ المحبسين؟

الدائرةُ مغلقةٌ وأنا أركضُ في حياتي.

كان حيواناً صغيراً يركضُ على دولاب صغير. لا يتوقّفُ عن الركض. أسمعُ صوتَ حركته في قلبِ الليل. بقي عندنا عاماً أو بعضَ عام. ركضَ على الدولاب حتى نفقَ. رمينا الجثة في الزبالة وخبأنا القفص. أقنعتُ ابني بسمكةٍ حمراء تسبحُ في الماء. إلى أين كان يمكن له أن يصلَ لو ركضها خطّاً مستقيماً؟

قال المصوّر: ((المهم أن نتحرك.))

لا أستطيعُ أن أحرك حتى إصبعي الصغير. مغلفةٌ بضماداتٍ متخشبةٍ. تلتفُّ وتلتفُّ. قد يُمسكُ طرفُ القماشِ الأبيضِ يوماً وأبدأُ في الدورانِ كالخذروف. أبرمُ أبرمُ أبرمُ. لا يبقى مني في النهاية إلا الضماداتُ ملتفةً على الأرض أفعى ميتةً.

لحسن الحظ أن هناك الكتابة (وإن لم تُكْتَبْ؟)

قال المصوّرُ: ((المهم أن نفعل شيئاً. أن نتركَ وراءنا أثراً.))

منتديات الكوكب العاشر

ماذا فعلت في حياتي؟

حصلتُ على ما أريدُ أم أردتُ ما حصلتُ عليه؟

درستُ، عملتُ، أحببتُ، تزوّجتُ؟

حتى جدّتي فعلتها أو كان يُمكنُ لها أن.

أسافرُ، أضحكُ، ألعبُ لعبةَ الغواية؟

طز.

ماذا يبقى؟

هل أريدُ أن؟

تبقى اللمعةُ في عينيَّ.

هل هي كذبة أيضاً؟

((العطالةُ العقليةُ عادةٌ عندكِ. أدمنتِها ولنْ تتخلّصي منها أبداً.)) كم مرّةٍ قالها وأعاد. يدخلُ الغرفةَ ويراني مفتوحةَ العينين: ((الأيّامُ تكرُّ، تهربُ، أفيقي)) أبتسمُ وأتظاهرُ.

أمضيتُ حياتي نائمةً. الأيّام تكرُّ ببلاهةٍ وإحكامُ قبضتي عليها لن يُجدي شيئاً. لتبقَ يدايَ مفتوحتين ولتكرّ الأيام ببلاهة.

قال النحيلُ: ((لم نتخلّص من عقدة السيّد والعبد. علينا أن.))

قال الملتحي: ((الأميركيةُ سافرت. وعدتُها بالكتابة. أعطيتُها عنوان المكتب. زوجتي تجيدُ الإنكليزية. مصيبةٌ لو وقعت رسالةٌ في

منتدى الكوكب العاشر

يدها.))

يضحكُ.

يضحكون.

أضحكُ.

ليس لديَّ حكاياتٌ.

لا من هذا النوع ولا من نوعٍ آخر.

ليس لديَّ حكايات.

قصور في الحياة؟

قصورٌ في المخيّلة؟

في الاثنين معاً؟

لحسن الحظّ أنَّ هناك الكتابة:

تتفتّحُ فيَّ الكلماتُ بحذرٍ كابتسامة متردّدة

منتديات الكوكب العاشر

المؤلفة

سلوى النعيمي، شاعرة وصحافية سورية. تعيش وتعمل في فرنسا.

صدر لها:

«**متوازيات**»، مجموعة شعرية.

«**غواية موتي**»، مجموعة شعرية.

«**ذهب الذين أحبهم**»، مجموعة شعرية.

«**أجدادي القتلة**»، مجموعة شعرية.

«**شاركت في الخديعة**»، مجموعة مقابلات أدبية.

«**إنا أعطيناكِ**»، مجموعة شعرية.

«**برهان العسل**»، رواية.

منتديات الكوكب العاشر

لها مجموعة قصائد مختارة بالفرنسية من ترجمتها، بعنوان «**أجدادي القتلة**». تُرجمت نصوصها إلى لغات متعددة منها الفرنسية والإنكليزية والألمانية والهولندية والإسبانية والعبرية.

منتديات الكوكب العاشر